عنها ، ولكن إذا أردنا أن نختار قصصا ومآثر أسرد تلك الواقعة التي كنت طرفاً فيها ، وتركت في نفسي أثرا عظيما ، فلما كان عددنا لا يتجاوز العشرين ثار جدل بين المعتقلين حول صلاة الجمعة ، هل نصليها منفصلين داخل الغرفة أم نصليها مع الجنائيين في ساحة السجن ، وكان محمود ممن تحمّس للصلاة مع الجنائيين ومخالطتهم ، وكنت قد شرعت في ذم الجنائيين بأشدّ الأوصاف إيلاما ، الأمر الذي آلم محموداً فاخذ يدافع عن إنسانيتهم ، ويتحدث عن الواجب الشرعي الذي يفرض على المسلم الداعية أن يبذل كل جهد مستطاع لانتشال هؤلاء الغرقى ليكونوا إخوانا لك في الدين ، عندها عرفت ذلك السر الذي من خلاله أسر محمود القلوب ، لقد كان ينظر إلى البشر على أنهم صنفان –كما قال الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه– أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق) .

وأما مآثر محمود فما أكثرها ولكنّ اثنتين منها تكفي ليعلم الجميع عمق العطاء والتضحية ، ففي ليلة اشتد فيها البرد القارس كان الأخوة يتدثرون بما وفرته لهم إدارة السجن من بطانيات مهترئة ، وكان محمود قد أهدي له غطاء للنوم من النوع الفاخر من أحد أصدقائه في الخارج ، فنظر في هذه الليلة الباردة إلى أحد إخوانه وقد ارتعدت أوصاله من البرد فما كان من محمود إلا أن ألقى بغطائه الفاخر على هذا الأخ، وأقسم عليه محمود ألا يعيده ، واكتفى هو بالبطانية ولما سئل محمود لماذا فعلت ذلك أجاب بلسانه الرطب :(لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) .

لك الله يا محمود ، أين أهل الثراء منك ؟ أين الذين ملكوا الدراهم والدنانير ، فلقد كنت من المنفقين الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: (سبق درهم مائة ألف درهم) .

وفي أحد الأيام ادّعت إدارة السجن أن الصهاينة أبلغوا السلطة أن محموداً يتصل بالخارج بهاتف خليوي ، وطلبوا منه أن لا يفعل ، وأن لا يحرجهم مع الصهاينة والأمريكان ، وبدأ بعض الحراس يقومون بمهمة التنصت بالقرب من شبابيك الغرفة ، فسمعوا شخصا يتحدث بالبلفون ، وإذا بهم يستنفرون ، ويتكاثرون على باب الغرفة وعلى رأسهم مدير السجن ، كان الشهيد سائد الأقرع من قرية بديا من إخواننا في «حماس» هو الذي تحدث حقيقةً ، لكنهم ظنوه محموداً ، وتحدّث معهم محمود كما لو أنه هو –فعلاً– من تحدث ، فلم يكن يتحمل أن يمس أي أخ، وأن يبرأ هو أوينسحب . وبدأ مدير السجن يرغي ويزبد